

أضواء البيان

@ 295 . بيِّنَ جَلَّ - وعلا أن العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون غير

مكتفين بتكذيبه ، بل جامعين معه الاستهزاء . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ } ، نص صريح في

تكذيب الأُمم لجميع الرسل لما تقرر في الأصول ، من أن النكرة في سياق النفي إذا زيدت

قبلها { مِّن } ، فهي نص صريح في عموم النفي ، كما هو معروف في محلّه . .

وهذا العموم الذي دلَّت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحًا في آيات أخر ، وجاء في بعض

الآيات إخراج أُمَّة واحدة عن حكم هذا العموم بمخصّص متّصل ، وهو الاستثناء . .

فمن الآيات الموضحة لهذا العموم ، قوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن

نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَدَرِّفُوهَا إِنْزَالًا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } ،

وقوله تعالى : { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ

إِلَّا قَالَ مُتَدَرِّفُوهَا إِنْزَالًا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنْزَالًا عَلَى

، وقوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا

أَهْلَهَا بِالنَّبَاتِ وَالصَّخَرِ } ، إلى قوله : { فَأَخَذْنَا هُمْ بِغَوْتَةٍ

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } . .

وقد قدّمنا الكلام على هذا في سورة (قد أفلح المؤمنون) ، في الكلام على قوله تعالى :

{ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ

. . }

وقدّمنا طرفًا من الكلام عليه في سورة (الأنعام) ، في الكلام على قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرًا مُّجْرِمِيهَا } . .

وأما الأُمَّة التي أُخرجت من هذا العموم فهي أُمَّة يونس ، والآية التي بيّنت ذلك هي

قوله تعالى : { فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَتْهَا إِيمَانُهَا إِلَّا

قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ } ، وقوله تعالى : { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ

أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَتَأْمَنُوا * فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } ، والحسرة أشدّ

الندامة ، وهو منصوب على أنه منادى عامل في المجرور بعده ، فأشبه المنادى المضاف . .

والمعنى : { خَامِدُونَ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ } تعالي واحضري فإن الاستهزاء

بالرسل هو أعظم الموجبات لحضورك . { وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّامُ رُضُّ الْمَيْتَةِ } ، إلى

قوله : { أَفَلَا يَشْكُرُونَ } .